

الفصل الخامس

الأوديسا

تلخيص وتحليل ونقد

الأوديسا قصيدة فائقة كالألياذة ، وقد بلغت كل منهما في بابها حد السحر المعجز ، ولكن الأوديسا أصغر من الإلياذة حجماً ، إذ أن أبياتها لا تزيد على اثني عشر ألف بيت إقليلاً ، وموضوعها يختلف كل الاختلاف عن موضوع سالقتها ، فهو يروى قصصاً ساحرة وأحداثاً أسطورية وقعت لأحد أبطال الهيلين إبان عودته إلى بلاده بعد انتصاره في حرب تروادة ، وهو « أوديسوس » الذي خصص المؤلف قصيدته لسرد أحداثه .

ومجملها أنه بينما كان أوديسوس في طريقه إلى جزيرته : إيثاكيه يقاسى أهوالاً صعباً زهاء عشرة أعوام كان أفراد عصابة من الشبان - يطلق عليهم اسم الأعدياء - قد استولوا على قصره وثروته وفرضوا على زوجته الوفية أن تختار لها زوجاً من بينهم ، وفي تلك الأثناء تنصح أثينيه لابنه تيلياخوس أن يرتحل فوراً إلى بيلوس ثم إلى اسپرta ليستطلع من ملكيهما « نِسْتور » و « مينيلأؤوس » أبناء والده ، فلا يسمعه إلا النزول عند رغبتها ، وهناك يعلم أن والده لا يزال حياً ، ثم يعود أدراجه إلى جزيرته . وتشغل هذه الأحداث الأناشيد الأربع الأول التي تعنون بـ « التيلياخوسية » .

وبعد أن يعاني أوديسوس من ألوان الصعوبات وأنواع المشقات مالا طاقة باحتماله إلا لبطل عظيم مثله ، تقذف به عاصفة هوجاء إلى جزيرة الفَيْكِيان فتراه « نوسيكاً » ابنة ملك تلك الجزيرة فتقتاده إلى قصر والدها ، وهناك يكشف للملك عن حقيقته ، ويروى له قصته ، ويسرد عليه أحداثه مع « الكيكون » و « اللوتوفاج » و « الكيكلوبيس » ثم

ماعانا في جزيرتي : الهواء وكرّ كيه ، ومالقيه لدى « الكيمريان » ولدى بنات البحر الساحرة أصواتهن وما أحرق به من خطر عند مروره من بين « خاريديس » و « إسيليه » وفي جزيرة ثيران « هليوس » وأخيراً ما وقع له في جزيرة كالپسوالتي كانت آخر محنه قبل هذه الجزيرة . وهكذا يحدث أوديسوس ملك الفيكيان وحاشيته برحلته منذ أن افترق من موطنه إلى أن قذفت به الأمواج إلى جزيرتهم ، وتشغل هذه الأحوال القسم الثاني الذي عنوانه : « قصص أوديسوس » وهو من الأنشودة الخامسة إلى نهاية الأنشودة الثانية عشرة .

وبعد هذا يبحر على إحدى سفن الفيكيان ، فيصل — على غير علم منه — إلى مسقط رأسه ، وهناك يعلم من الإلهة أثينية أنه الآن في إيثا كيه ، فلا يسهه إلا أن يكشف عن شخصيته لابنه وحده ، ثم يعود إلى التخفي ويذهب إلى قصره في أثمال المتسولين يصحبه أحد رعاته الخالصين الخيرين دون أن يعرف حقيقة أمره . وحينئذٍ نشهد عدداً من المناظر الوقحة التي تبدو من الأدعياء ، ثم يلي ذلك كشف أوديسوس عن نفسه لخلصائه من أتباعه وانتقامه من الأدعياء ، ومعاقبته الخادومات الخائنات اللواتي أذعن سر حيلة سيدتهن ثم إظهاره زوجته على حقيقة الأمر ، ثم إرتحالته إلى حيث يقيم والده الشيخ ، وعلته بتألب أنصار الأدعياء وأقاربهم عليه ، وبتكتلهم جميعاً ضده ، وفي النهاية نشاهد أثينية تعمل على إتمام الصلح فتقر بهذا التصرف الأمن وتعيد السكنى والاطمئنان . وتستغرق هذه الأحداث القسم الثالث من الأوديسا ، وهو من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الأخيرة ، وعنوانه : « انتقام أوديسوس » .

هذا هو مجمل خاطف لتلخيص الأوديسا ، أما إجمالها في شيء من البسط فهو فيما يلي :

(١) المجموعة الأولى أو التيلياخوسية^(١)

من الأنشودة الأولى إلى الرابعة :

تعنون الأناشيد الأربع الأول من الأوديسا - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - بعنوان : التيلياخوسية لأن تيلياخوس بن أوديسوس هو بطلها الذى يلعب أهم أدوارها ، ويشغل أبرز مواقف حلولها وارتحالها ، ويبدو على مسرحها - بفضل أثنييه - قوياً صبوراً كتوماً معتزلاً بنفسه ، رغم صغر سنه وقلة تجاربه ، وإن كان المؤلف لم يغفل عن أنه لا يزال فى طليعة العمر وربع الحياة ، فجعل يسجل ذلك تارة فى صلب أبيات أناشيده ، ويثبته تارة أخرى فى الفراغ الذى يفصل بين تلك الأبيات تاركاً إدراكه إلى فطنة القارئ أو السامع واستنباطه .

ومهما يكن من الأمر فإننا سنحاول هنا أن نلم بأحداثها إلماماً نأمل ألا يكون مملاً لإفراطه ، ولا تخلاً لتفريطه ، وأن يقوى على تقديم صورة كافية للإحاطة بالجوانب الجوهرية من هذه الدرة الساطعة .

إذا بدأنا نطالع الأنشودة الأولى ألفينا المؤلف يفتتحها باستلهاام عرائس الشعر كما فعل فى الإلياذة ، ثم يُجْمَل حوادث أوديسوس وماعاناه فى أسفاره ، ثم يبدأ تفاصيل قصته فيحدثنا أن كل أبطال حرب تروادة الذين جمعهم المعارك قد تفرقوا فمات منهم من مات ، وعاد إلى وطنه من بقى حياً . وبعد ذلك يصور لنا أوديسوس عائداً إلى وطنه فى شمال بلاد الهيلين وقد تم له النصر وسعد برؤية مدينة الأعداء تهوى تحت ضربات مواطنيه لاسيما وأن له فى هذا الانتصار يداً بيضاء طائلة بفضل تبصره ومقدرته على الخدع الحربية ، وشجاعته النادرة ، ولكنه لا يكاد يستمتع بلذة هذا الفوز الذى ظل يصبو إليه عشرة أعوام كاملة

(١) لاعتبر فريق من النقاد هذه المجموعة أحدث مجموعات الأوديسا وضعاً ، ولهذا أطلقوا عليها اسم المجموعة الثالثة ، فليتبناه إلى ذلك عند قراءة تقديمهم فى الفصل السادس .

حتى يضل بسفنه فوق صفحة البحر وتتقاذفه الأمواج من جزيرة إلى جزيرة ، وتحقق به الأحداث الرهيبة التي سنقف على تفاصيلها في المجموعة الثانية والتي كان أخطرها على حياته وأشأمها على حظه فقهه عين الككلوبيس بن بوسيدون إله البحر إذ أنه لا ينتهى من اقتراف هذه الفعلة حتى يتجدد هذا الإلاه ويعانده ويذيقه شقاء طويلا وعذابا مريراً في عدة جزر ثم يقذف به في جزيرة « كاليسو » إحدى إلهات البحر الصغيرات فتعتقه عندها زمنا طويلا ولا ترق لتوسلاته أو تلين لتضرعاته ، وإذا ذاك يعطف عليه الآلهة إلا « بوسيدون » فانه يصر على حقه عليه ، غير أن أثينيه تنتهز فرصة غياب هذا الإلاه الأخير وتتوسط له عند زوس فتنال موافقته على إرسال « هرئيس » في الحال إلى « كاليسو » حاملا أمره بفك اعتقال أوديسوس ، وبعد ذلك يتغير المنظر فينتقل بنا المؤلف إلى جزيرة « إيثاكيه » حيث نرى جماعة من الشبان الوقحاء يحتلون قصر أوديسوس طمعاً في زواج « بينيلوپيا » الوفية الحكيمة ، ويسرفون في الاستمتاع بثروة زوجها الغائب وابنها الصغير دون أن تملك الدفاع عن نفسها أو الاحتفاظ بمالها ، ثم نشاهد أثينيه تتدخل في الأمر وتتشكل بصورة الملك منتيس أحد أصدقاء أوديسوس العقلاء ، وتنصح تيليماخوس أن يجمع الشعب ويشكو إليه اعتداء هؤلاء الأعداء على ثروته ، وانتهابهم حرمة منزله ، لا لجريمة اقترفها ولا لذنوب جناها إلا لأنه صغير ضعيف ، وتطلب إليه - في حالة عدم ارعوائهم عن غيهم - أن يعد سفينة ويبحر إلى مدينتي پيلوس واسبرتا ليستطلع من نِسْتور ومينيلاؤوس أبناء والده . وعلى أثر ذلك نشاهد أولئك الأعداء يقيمون في القصر مأدبة فخمة يتمثل فيها البذخ والإتلاف ، وتبادل فيها بين تيليماخوس وأولئك الشبان عبارات يكون من نتائجها تصريحهم باعتزامه دعوة الشعب غدا للاحتكام إليه . وبهذا تنتهى الأنشودة الأولى .

فاذا كانت الأنشودة الثانية فنحن في جمعية الشعب نشاهد تيليماخوس يتحدث عن عنف أولئك الأعداء واغتصابهم ثروته ونرى عددا من أصدقائه يناصرونه في مطلبه ، ولكن هذه المناقشات تنتهى بالشغب والفوضى ورفض كل مطالب تيليماخوس ولا يسمح

له حتى بسفينة يبحر بها للتنقيب عن والده فيغادر الاجتماع أسفا محزوناً ويسير منفرداً على شاطئ البحر . وهناك يتوسل إلى أثينيه أن تعينه على نكبتها فتبادر إلى معونته ، وتتعهد بأن تحضر له السفينة الضرورية ، وأن تسهل له سفره وتخفيه عن أعين الأعداء حتى لا يحولوا دون هذا السفر .

فاذا كانت الأنشودة الثالثة فنحن في مدينة « بيلوس » حيث يصور لنا المؤلف وصول « تيلياخوس إليها ترافقه » أثينيه وهي لا تزال في صورة « منتور » . وعلى أثر وصولها يستقبلها الملك « نستور » خير استقبال ويكرم رفدها ، ثم يصف المؤلف لنا احتفالاً كان نستور مشغولاً بإقامته للإله « بوسيدون » . وعلى أثر ذلك يقدم تيلياخوس نفسه إلى الملك الشيخ ويسأله عن والده فيروى له كل ما يعرفه من أبناء من عادوا من ملوك الأكيان ، فيحدثه عن عودة أجاممنون واغتياله وعن رحلة « مينيلأؤوس » إلى مصر وإقامته فيها ورجوعه منها في نفس اليوم الذي انتقم فيه « أورستيس » لوالده ، ولكنه يعلن أسفاً أنه لا يعلم شيئاً عن « أوديسوس » الذي يحبه لحكمته وذكائه ، ثم ينصح لتيلياخوس أن يتوجه إلى اسبرتا ويقابل مينيلأؤوس لعله يعلم شيئاً عن والده . وأخيراً يدعو الملك الشيخ ذلك الشاب أن يبيت في قصره فيلبي دعوته . وهنا تختفي أثينيه عن أعينهما فجأة فينتبه نستور إلى وجود الإلهة وتملاً نفسه الدهشة والإعجاب معاً ثم يطلب إلى تيلياخوس أن يكون عظيم الأمل في الالتقاء بوالده مادامت هذه الإلهة تحميه . وليس هذا لحسب ، بل إنه هو نفسه يبادر إلى تقديم الضحايا إليها لتشمله برعايتها . وبعد ذلك يزود الشاب بما يحتاج إليه في متابعة سفره فيرتحل في صباح اليوم التالي إلى اسبرتا .

فاذا كانت الأنشودة الرابعة فنحن في اسبرتا نشاهد تيلياخوس وقد وصل إليها يتوجه إلى مينيلأؤوس فيلقيه مشغولاً بتزويج ابنه « ميخائنتيس » وابنته « هرْميونيه Hermionec » وإذ ذاك يصف المؤلف فخامة احتفال الزواج فيقدم إلينا بهذا الوصف لوحة لأفراح تلك العصور ومتعها ولذائذها . ولا تكاد أعين « مينيلأؤوس » و « هيلينيه » تقع على هذا الشاب حتى يعرفاه فيرحبا به أعظم ترحيب وبعد ذلك يأخذان في التحدث عن أوديسوس في شيء

من الحماس ويريوان عنه قصصاً مليئة بالشجاعة والحكمة ، ويقول مينيلائوس إنه قد عرف أفكار كثير من الأبطال وحكمتهم ، وجاب كثيراً من البلاد ، ولكنه لم يعرف قلباً يوازي قلب أوديسوس الصبور .

وبعد أن يستريح تيلياخوس ينبئه مينيلائوس بما حدث به الإلاه برُتيوس في جزيرة فاروس أثناء رحيله إلى مصر . وهو حديث طويل يتناول عدداً من مشاهير الأكيان . ومما جاء في هذا الحديث عن أوديسوس أنه محجوز بالقوة في جزيرة الإلاهة البحرية « كاليسو » فلا يكاد تيلياخوس يسمع هذا حتى يصم على العودة إلى قصره ، ولكن المؤلف يتركه في اسبرتا ويعود بنا إلى إيثاكيه فيحدثنا أن الأدعياء حين يعلمون بغياب تيلياخوس يُعدّون له فخاً ليسقط فيه على أثر عودته ، غير أن الجوال « ميدون » يسمع حديث هذا الفخ فينبئ به « بينيأيا » فيسودها القلق على ابنها وتتوسل إلى أثينيه أن تحميه فترسل إليها حلماً ترى فيه كأن شقيقتها تطمئنّها على مصير ابنها وتنبئها بأن أثينيه قد أخذتها الشفقة عليها فأرسلتها لطمأنيتها وإذ ذاك تسألها بينيأيا عن زوجها أوديسوس فترفض أن تجيبها . وبهذا تنتهى الأنشودة الرابعة .

ويرى النقاد أن القديم من هذه الأناشيد هو من مبدئها إلى صدور أمر زوس إلى كاليسوبفك اعتقال أوديسوس . أما الانتقال إلى « إيثاكيه » وما يعقبه إلى نهاية الأنشودة الرابعة فهو عندهم مضاف في عصور متأخرة ، وهم يلاحظون على هذا القسم المحدث أن أسلوبه شعري رشيق سهل ولكنه تنقصه القوة والتركيز أى أنه كثيراً ما يؤدي معانى قليلة بألفاظ كثيرة ، وهو أحياناً يعوزه الانسجام ودقة التصوير . فمثلاً عندما يصور لنا إتلاف الأدعياء في ثروة أوديسوس لا نراه يضع على لسان تيلياخوس ألفاظاً جارحة ، بل لا نكاد نحس في نفسه بالثورة التي تتلاءم مع فداحة الحالة .

(ب) المجموعة الثانية أو أحداث أوديسوس^(١)

١ - من الأنشودة الخامسة إلى الأنشودة الثامنة

إذا كانت الأنشودة الخامسة فنحن أمام أمر زوس الذى رأيناه فى الأنشودة الأولى يصدره إلى « كاليسو » بفك اعتقال أوديسوس ، وبعد أن يعيد المؤلف هذا المنظر ينتقل بنا إلى جزيرة « أوجيجى » التى تقيم فيها تلك الإلهة فيصف لنا جمالها ورشاقها ثم تصور لنا أوديسوس جالساً على الشاطئ فى عزلة ينظر باحتقار إلى كل ما يحوطه من فتنة تسحر العين ، وإغراء يجذب القلب ، ويرسل العبرات مدراراً « لا يرقأ له دمع ، وحياته الحلوة يضئها التأوه والأنين على العودة لأنه لم يكن يحب تلك الإلهة » وبعد ذلك يرسم لنا المؤلف ألم كاليسو ولوعها وشدة وقع هذا الأمر بفارقة أوديسوس على نفسها . وأخيراً لا يسمعها إلا أن تدنومنه وتنبئه بأنه حر ، وأنه يستطيع منذ الآن أن يعد العدة لرحيله . ولما كان أوديسوس بفطرته حذراً فإنه يرتاب فى كلامها فتقسم له بكل محرجة من الأيمان أنها صادقة ثم تحاول أن تصرفه عن هذا الرحيل فتبين له مقدار الندم الذى سيلم بنفسه بعد سفره ، وتصور له ما سيفقده لو أصر على الرحيل ، وتشرح له فى إسهاب المزايا التى تمتاز بها عن « بينيليبيا » زوجته فى الجمال وخفة الروح وغير ذلك .

وهنا يرسم المؤلف أوديسوس على حقيقته فيظهره لنا هادئاً يجيب كاليسو على إغراءاتها فى سكون بقوله : نعم أنا أعرف أن العودة شاقة وخطرة ، وأعرف أن بينيليبيا ليست إلا امرأة ، ولا يمكن أن توازن بإلهة ، ولكن سرورى الأوحـد - رغم كل هذا - هو أن أعود إلى مسقط رأسى ، فتفهم الإلهة أنه لا يرق لتوسلاتها ، ولا يفتن بإغراءاتها وأنه مُصِرٌّ على فراقها فتضاده والأسى يملأ فؤادها ، فيشرع فوراً فى جمع قطع خشبية ويعد منها رَمَماً ثم يبحر عليه منفرداً ، وحينئذ يشعر بوسبذون أن عدوه سيفلت من يده فيبادر إلى جمع السحب ،

(١) رأى بعض النقاد أن هذه المجموعة هى أقدم أناشيد الأوديسا البدائية ، ولذلك وضعوا لها عنوان : المجموعة الأولى .

وفى الحال يقبض بكلتا يديه على خطافه ذى الشوكات الثلاث ويضرب به البحر ضربة قاسية فيقلبه رأساً على عقب فينبج من هذا أن ينفج عقال جميع العواصف والزوابع فتهب من جميع الجهات فى آن واحد ، ونجاة يغطى البحر والأرض نقاب سميك من الأبخرة فتحدق الأخطار بأوديسوس من كل جانب ، ويضحى رمثه كأنه ريشة فى مهب الأعاصير



الصورة رقم ١١ هى تمثال أخذ عن آخر يرجع تاريخه إلى القرن الرابع قبل المسيح وقد عثر عليه فى متحف أثينا وهو يمثل بوسيدون قابضاً على خطافه ذى الشوكات الثلاث ليضرب به البحر حنقاً على أوديسوس [

يظل أوديسوس قابضاً على دفة رمته ليلاً ونهاراً سبعة عشر يوماً ، وبعد هذه المدة يلحج على بعد جزيرة الفيكيان فتطمئن نفسه ويقوى أمله ، ولكن بوسيدون عدوه اللدود يشعر بأنه سينجو فيرسل إليه عاصفة هوجاء لا يرى أوديسوس بداً من أن يقاومها بكل قوته ، غير أن هذه المقاومة تكاد تضع عبثاً لولا معونة الإلهة البحرية « ليكوثيه » و « أثينيه » اللتين يصل بعنايتهما إلى شاطئ نهر ، ولا يكاد يصل حتى يهرع إلى غابة هناك ليختفي فيها لحرصه واحتياطه ، وإذ ذاك تنيمه أثينيه ليستريح من كل هذا العناء الطويل .

فإذا كانت الأنشودة السادسة فالمؤلف ينتقل بنا من البحر وعواصفه ، وأهواله ومخاطره ، وتأرجح أوديسوس بين اليأس والأمل إلى شاطئ جميل وغابة بديعة . ثم يحدثنا أن أثينيه توحى إلى « نوسيكّا » ابنة « ألكينوؤوس » ملك هذه الجزيرة في حلم أن تذهب إلى شاطئ النهر لتغسل ملابس مع رفيقاتها فتفعل ، وبعد أن تنتهي مهمتهن يأخذن في اللعب والقفز والصياح ، فيوقظ ذلك أوديسوس من نومه فتراه تلك الفتاة وتفر صاحباتها منذعرات وتتحدث إليه وحدها فيبدو وديماً محتشماً في تصرفاته ، فصيحاً في محادثته ، تلوح عليه العزة والكرامة إلى حد أنه لا يسمح بكشف الستار عن اسمه ، وحينئذ تقدم إليه الأميرة طعاماً ولباساً ، وبعد أن يلبس ويأكل تطلب إليه أن يتبعها على بعد وتشرح له مايجب عليه فعله للوصول إلى قصر والدها الملك ، ثم تتوجه صوب المدينة ويقف هو لحظة يدعو فيها أثينيه حاميته العظمى .

فإذا كانت الأنشودة السابعة فنحن في المدينة نشاهد أوديسوس يبحث عن قصر الملك فتظهر له أثينيه في صورة فتاة فيسألها عن ذلك القصر فتدله عليه ثم تنصرف ولا تكاد عينه تقع عليه حتى يعجب بجماله ثم يدخل إلى إحدى ردهاته فيجد الملكة جالسة فيركم أمامها ويتوسل إليها أن تعينه على العودة إلى وطنه ، ثم يجلس في مكان متواضع فيبهر الجميع أدبه وفصاحته وفهمه أساليب اللياقة التي تتبع في البيئات العالية ، ويحسون أنهم أمام شخصية ممتازة فيحفلون به ، ويجلسه الملك في المكان المعد لابنه على المائدة . وبعد تناول الطعام تلمح الملكة أن الملابس التي يرتديها هي من ملابسهم ، فتستوضحه قصته فيروى لها ماوقع له منذ نزوله

في جزيرة كاليسو إلى أن قذفت به الأمواج على جزيرتهم ثم يثنى على مقابلة « نوسيكاً »
الكريمة الحكيمة ولكنه لا يشير إلى اسمه ، ولا إلى وطنه ، ولا إلى حرب تروادة
بشيء ما ، فيعده الملك بأنه سيوصله إلى وطنه مهما كان بعيداً متى قضى الوقت اللازم
لراحته واستجمام قوته .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة فنحن في غد اليوم السالف في مجلس مؤلف من عليّة
« الفيكيان » يتناقشون في معونة أوديسوس فيقرر رأيهم على منحه إياها . وعلى أثر ذلك
نشاهد الملك « ألكينووس » يقيم مأدبة أخرى يدعو إليها « ديمودوكوس » وهو أشهر
الشعراء الجوالين الذين منحهم السماء ما يسحرون به الأرواح ، ويفتنون القلوب من أغنيات
عذبة وأناشيد أخاذة . وعلى أثر انتهاء المأدبة ينهض ذلك الشاعر وينشد مقطوعة تروى



[الصورة رقم ١٢ مأخوذة عن متحف القر ، وهي تمثل إحدى الفتيات مقدمة كوباً من الشراب
إلى أحد المشاهدين لحفلة من الحفلات التي تفيض بها مناظر هوميروس كمنظر حفلة الفيكيان
التي أقاموها لأوديسوس مثلاً .]

مناقشة حادة بين « أخيلوس » و « أوديسوس » يتبادلان فيها الشتم والسباب على مسمع من « أجاممنون » الذى جعل يبدى سروره بسماعه بطلين من أبطال الأكيان يتشامتان . وإذ يسمع أوديسوس هذه الأنشودة يخفى رأسه فى معطفه ويبكى من شدة الانفعال ، وهنا لا يسمع الملك إلا أن يأمر بوقف الإنشاد واستبداله باللعب فيسأله أوديسوس فتكون هذه المساهمة فرصة لإظهار رفقته وتفوقه على جميع أبطال الفيكيان . وبعد انتهاء اللعب يبدأ الرقص فيعجب أوديسوس فيما بينه وبين نفسه بخفة حركات الشباب ثم يعود الشاعر إلى الغناء فينشد غرام « أريس » و « أفروديتيه » . وفى المساء تقام مأدبة أخرى فيطلب أوديسوس من الجوال أن يغنى لهم أنشودة جواد تروادة ، وقصة سقوط المدينة التى هوت بفضل حيلة أوديسوس ولا يكاد الشاعر يعنى فى الترنم بتلك الأنشودة حتى يعود أوديسوس إلى إخفاء وجهه وإلى الإجهاش بالبكاء . وهنا يحمل حب الاستطلاع الملك « ألكينوؤوس » على وقف الإنشاد مرة أخرى ، ثم يطلب إلى أوديسوس أن ينبئهم بشخصيته ويروى لهم ما وقع له من الحوادث . وبهذا تنتهى الأنشودة الثامنة .

يرى النقاد أن هذه الأناشيد الأربع الأخيرة هى من الأوديسا القديمة وليس فيها من المضاف فى العصور المتأخرة إلا قليل مثل مقطوعة غرام « أريس » و « أفروديتيه » التى تحتوى لذعاً وسخرية بالآلهة لا يتفقان مع الإجلال الذى تفيض به أناشيد المؤلف الأول نحو الآلهة .

٢ - من الأنشودة التاسعة إلى الأنشودة الثانية عشرة :

تحتوى هذه الأناشيد الأربع الآتية على حوادث أوديسوس التى وقعت له بعد إبحاره من تروادة . وإليك مجمل هذه الحوادث :

إذا كانت الأنشودة التاسعة فنحن لا نزال فى حفلة الملك « ألكينوؤوس » الذى يتحرق إلى سماع قصة ضيفه الممتاز . وعلى أثر ظهور هذه الرغبة منه يبدأ أوديسوس بسرد روايته فيقول :

أنا أوديسوس بن « لايرتيس » ملك « إشاكيه » ثم يحدتهم أنه لا يكاد يغادر
تروادة ويبحر بسفنه حتى يقذف به الهواء بين شعب « كيكون » فتحدث بينهم معركة
ينتصر عليهم فيها ، ثم يرى أن الحكمة تقضى بحمل الغنائم والأسلاب والإبحار حالا من تلك
البلاد فينصح لأصحابه بذلك ، ولكنهم لا يسمعون لنصحه ويظلون فيها غير آبهين للنتائج ،
وإنهم لذلك إذ بأولئك الأعداء يستردون قواهم ويستجمعون شتاتهم ويفاجئون
أوديسوس وأصحابه فيقتلون منهم ستة ثم يبحر الباقون مع أوديسوس ولا يكادون يسلون
أنفسهم للبحر حتى تباغتهم عاصفة هوجاء فتقذف بهم في أرض « لوتوفاج » وهى أرض
تنبت فيها زهرة اللوتوس التى من يذوقها يفقد ذاكرته كلها فيأكل منها بعض أصحاب
أوديسوس على غير علم فينسون ماضيهم ولا يذكرون حتى بلادهم وأصدقائهم
ويرفضون أن يبحروا معهم . وهنا يضطر الآخرون إلى أن يسحبوهم بالقوة ويربطوهم في
مقاعد السفن . وعلى أثر ذلك يغادرون هذه البلاد المنحوسة ويلقون بأنفسهم من جديد
بين الأمواج فتقذف بهم إلى جزيرة « الككلوبيس » فيتجه أوديسوس فوراً في وفد من
أصحابه إلى رئيس الككلوبيس في كهفه ويقدم إليه الهدايا سيراً على سياسته التى تنشد
الجمالة دائماً ، ولكنه لا يكاد يصل إليه حتى يمد يده فيتناول اثنين من أصحابه ويسحق
رأسيهما ثم يلتهم جسيهما في شراهة ونهم ، فيوقن أوديسوس أن الحظ قد خانته في هذه
المرّة أيضاً ، ولكنه لا يفقد هدوءه ويلجأ إلى حيله وحكمته فيسكر الككلوبيس ثم يضع
في عينه الوحيدة حديدة عمّاة فيقتلعها وينجو ببقية أصحابه فيركبون سفنهم ويبحرون فرحين
بنجاتهم مثنين على حكمة رئيسهم وتبصره . (انظر الصورة رقم ١٣ فى صفحة ٩٤)

ويعتقد النقاد أن هذه الأنشودة التاسعة هى إحدى الأناشيد البدائية فى الأوديسا لأنها
تمتاز بما امتازت به الأناشيد القديمة من القوة والعظمة وانسجام أجزاء الرواية فيها .

فإذا كانت الأنشودة العاشرة فإننا نشاهد أوديسوس فى جزيرة « إيؤلوس » إله
الرياح منذ شهر ، ونرى هذا الأخير يعطف عليه ويعتزم إزالة أسباب شقائه فيجمع المواصل



[الصورة رقم ١٣ مأخوذة من متحف الفاتيكان ، وهي تمثل أوديسوس يقدم كأساً من الخمر إلى
الكلوبيس ليسكره ويبدو عليه مظهر الاطمئنان والجلال المتميز بالدهاء]

لردية ويسجنها في قرية ويقدمها إلى أوديسوس وينبئه أنه مادامت هذه القرية مقفلة
فلن يصطدم بأية عاصفة فيسر أوديسوس ويشكر الإله ويبحر . ولا تزال سفنه سائرة حتى

يروا بلادهم رأى العين ، وهنا يغلب أوديسوس النوم فيظن جماعة من رفاقه أن هذه القرية تحتوى شيئاً نفسياً يستأثر به أوديسوس دونهم فيتميزون فرصة نومه ويفتحونها فتنتطلق منها العواصف السيئة وتحيط بهم من كل جانب وتظل تقذف بسفنهم يميناً وشمالاً حتى تلقى بها من جديد إلى جزيرة « إيؤلوس » غير أن ذلك الإلاه يعتقد هذه المرة أنه لولا غضب الآلهة عليهم لما حدث لهم كل هذا فيطردهم من جزيرته ، فيلقون بأنفسهم مرة أخرى بين أحضان الأمواج فتقذف بهم على جزيرة « الاستريجون » أو أكلة اللحوم البشرية فيهجمون عليهم هجوماً عنيفاً ويأخذون في تمزيق أجسامهم ويلتهمون لحومهم حتى لا يبقى منهم إلا نقر قليل يستطيعون النجاة بحيلة أوديسوس وذكائه ، وهنا يسرعون إلى إحدى سفنهم ويبهرون بها على عجل فتأخذ الأمواج في تقاذفهم حتى تلقيهم على جزيرة « كركيه » الساحرة فيتوقف عن الاندفاع إلى التغلغل في جزيرتها قبل أن يعرف عنها شيئاً ويرسل إليها وفداً من رفاقه فلا يكاد هذا الوفد يصل إليها حتى يختنق رئيسه عنها ويقدم إليها بأمر أوديسوس بقية الأعضاء ولا توشك عندها أن تقع عليهم حتى تحوّلهم جميعاً إلى خنازير . وإذ يرى الرئيس ذلك يعود مسرعاً إلى أوديسوس فينبئه بما حدث . وبينما هو يفكر فيما ينبغي أن يفعل إذ بـ « هرّميس » رسول الآلهة يوافيه فيحصنه هو ورفاقه الباقين بما يحول بين السحر وبين التأثير فيهم . وبهذا يستطيعون أن يتجهوا إلى الساحرة آمنين مطمئنين فلا تتمكن من تحويلهم إلى حيوانات ، ولكنها تسلك بإزاء أوديسوس سبيلاً أخرى وهى سبيل التأثير في قلبه وسلبه التفكير في العودة إلى بلاده وإشعاره بالسعادة في هذه الجزيرة ، فيظل على هذه الحال لا يفيق إلى نفسه ولا بحس بشوق إلى وطنه سنة كاملة ، ولكن رفاقه إذ يطول عليهم الزمن ينهونه إلى واجبه فيفطن إلى ما حدث منه ويستأذنونها في الرحيل فتأذن لهم وتعينهم بقدر المستطاع ، وتنصح لأوديسوس أن يتوجه رأساً إلى مملكة الموتى لأنه لن يظفر بالعودة إلى بلاده إلا بعد أن يذهب إلى هذه المملكة ، ليسأل فيها شبح العراف « تيرسياس » عما يقع له من الحوادث ، إذ أن هذا الشبح هو وحده الذى منحه « برّسيفنيا » زوجة « أدبس » إلاه الجحيم الذكاء والعرقان فيدعونها ويبهرون .

أما الأنشودة الحادية عشرة فتعنون بعنوان « الضحية للموتى » ومجملها أن أوديسوس يتبع نصيحة كريكه الساحرة فيعتزم — على أثر مغادرته جزيرتها — الذهاب إلى مملكة الموتى ويظل سائراً حتى يصل إلى نهاية الأرض حيث يوجد مدخل هذه المملكة ، وهنا يُعدُّ الضحية وينحرها فيسيل دمها القاتم الذي يجذب أشباح الموتى ولا يكاد يفعل حتى



[الصورة رقم ١٤ مأخوذة عن رسم على وعاء أثري ، وهي توجد في دار الكتب الوطنية بباريس وتمثل أوديسوس مستلاً سيفه من غمده ليحفر به الحفرة التي يخترن فيها دماء الضحية بعد نحرها وإلى جانبه صاحبه : أوريلوخوس ، وپيريميديس بعد أن حلا الضحية]

تنهال عليه تلك الأشباح أفواجا فيرى « الپينور » أحد أصحابه وقد مات في جزيرة كريكه فيتحدث إليه ثم يلمح والدته « أنتيكليا » التي تركها حية عندما توجه إلى تروادة فتصطدم في نفسه عاطفة الاشفاق على شبح والدته بعاطفة الحرص على مصالحته فتغلب عليه الثانية فينحى شبح أمه ليبقى على الدم لشبح « تيرسياس » العراف . وإذ ذاك يصل هذا الأخير فيشرب من الدماء ثم ينبئ أوديسوس بأن « پوسيدون » هو الذي يتعقبه

بسخطه وحقده لأنه قلع عين ابنه الكيكلوپيس ثم يتنبأ له بكثير من البأساء التي لا تزال تنتظره قبل عودته إلى بلاده ، ولكنه لا يسمي من هذه الصعوبات إلا واحدة ستعترضه في جزيرة « ثرينكويه » المأهولة بقطعان الإلاه « هليوس » . غير أنه يبشره بأنه سيعود بعد هذه الحن إلى « إيثاكيه » ثم يرشده إلى الضحايا التي يجب عليه أن يقدمها إلى بوسيدون بعد عودته لتهديته . وعلى أثر انتهاء مهمة هذا الشبح ينسحب ثم تتقدم والدته فتشرب وتتحدث معه حديثاً يصفه النقاد بأنه من أبداع فصول الأوديسا . وبعد هذا الحديث تتعاقب عليه شهيرات البطلات الهيلينيات من سيدات وفتيات ، ولكن المؤلف هنا يصور لنا أوديسوس على الحياء ولا يبدي بإزاء ما يشاهده أية عاطفة . وبعد انتهاء أولئك البطلات يحىء دور رفاق أوديسوس في القتال من أبطال الأكيان فيرد إلى الدماء أجاممنون وأخيلوس وأياس ، وإذ ذاك يرسم لنا المؤلف صورة مؤثرة للحزن العميق والأسى المبرح اللذين يملكان قلوب أولئك الأبطال الشجعان ، ويصف لنا لوعتهم على فراق من كانوا محبوبهم على الأرض ، وأسفهم على صلاتهم السابقة وتعلقهم بالحياة . وما أبداع تلك الموازنة المؤثرة التي يعقدها أجاممنون بين وفاء « بينيأيا » زوجة أوديسوس وخيانة « كيليمذستريه » زوجته ثم يسأل أوديسوس في حسرة عن أبناء ابنه الصغير أوريشيس ، ولكن دون جدوى ، إذ ليس المسئول أعلم بها من السائل . وبعد صمت أجاممنون يصف المؤلف لوعة أخيلوس على الحياة وصفاً يمزق نياط القلوب . وأخيراً يصور لنا « أياس تلامون » منقبضاً مكتئباً معرضاً عن أوديسوس رغم ما يوجهه إليه من عبارات لينة وألفاظ ودیعة لأنه لا يزال حاقداً عليه بسبب ما وقع بينهما في الحياة من منازعات ومخاصمات .

وبعد انتهاء هذا المنظر القاتن يعرض علينا المؤلف شخصيات أسطورية شهيرة مثل مينوس قاضي الجحيم و تتيوس الذي نراه ممتداً على الأرض ، وسباع الطير تمزق كبده عقاباً

له على ماوجه من إهانة إلى إحدى معشوقات زوس . و « تَنْتَالُوس ^(١) » الذى نشاهده مقضياً عليه إلى الأبد بعذاب الجوع والظما رغم وجود ألد الأطعمة وأشهى المشروبات إلى جانبه . « وسيسيفوس ^(٢) » الذى نراه مقضياً عليه بإصعاد صخرة كبيرة من أسفل الجبل إلى قمته ، فإذا وصل إليها انحدرت الصخرة إلى مكانها الأول ، وهكذا دواليك بلا انقطاع .

وعندما يرى أوديسوس هذه المناظر المزعجة يتملكه الفزع ويعدل عن رغبته فى إطالة الثواء بين أشباح الموتى ويكبت غريزة حب الاستطلاع فى نفسه ويقل راجعاً إلى سفينته وبهذا تنتهى الأنشودة الحادية عشرة .

ويعتقد النقاد أن أكثر مناظر هذه الأنشودة هى من الأوديسا البدائية ، إذ تظهر فيها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة الخالية من العمل والتكلف وإن كان قد أضيف إليها فى العصور المتأخرة بعض المناظر مثل منظر ظهور « أليينور » الذى يظهر انتحاله بجلاء لأنه لا يشبه ما بعده من مناظر الأبطال الآخرين فهو لا يشرب من الدماء كما شربوا ولا يجهل أوديسوس كما جهله الآخرون حتى والدته ، بل نرى هذا الأخير يتحدث إليه قبل مقابلة شبح تيرسياس ، وهذا يتنافى مع حرص أوديسوس الذى دفعه إلى تنحية والدته عن دم الضحية قبل تيرسياس . ومن هذه المناظر التى يرى النقاد أيضاً أنها مضافة منظر تعاقب شهيرات النساء الهيلينيات الذى يبدو فيه أوديسوس سلبياً لا يتحدث إلى أية واحدة منهن ولا يصف لنا شيئاً من أحاسيسه عند مرورهن به .

فإذا كانت الأنشودة الثانية عشرة ألفينا بطلنا — وقد عاد إلى جزيرة الساحرة — يقص عليها ما سمع من روح العراف ويطلب إليها النصيحة فيما يجب أن يفعل ، لكي يتجنب العقبات التى ستصادفه فى طريقه فتنبئه بأنه سيمر على جزيرة بنات البحر اللواتى كل واحدة

(١) تَنْتَالُوس هو ملك ليديا والسبب فى غضب الآلهة عليه هو أنهم كانوا قد وفدوا عليه يوماً فأراد أن يعرف ما إذا كانوا يعلمون الأسرار حقاً أو هم يدجلون فذبح ابنه وقدم إليهم لحمه فاستشاطوا غضباً وقضى عليه زوس بهذا العذاب المؤبد .

(٢) سيسيفوس هو ملك كورنت وكان مشهوراً بالزندقة والقسوة فقضى عليه بهذا الشقاء .

منهن نصف جسمها يشبه السمك والنصف الآخر يشبه الإنسان ، واللواتى يجذبن بغنائهن كل مسافر يمر بجزيרתهن دون أن يقوى أى شخص من البشر على مقاومة هذا الغناء . ولكن جميع الذين يصفون إلى أصواتهن يهلكون لا محالة . وإذا فالوسيلة الوحيدة للنجاة هى أن يغلّقوا آذانهم بالشمع حتى لا يسمعوها شيئاً ولكن يجب أن يظل واحد منهم مفتوح الأذنين لكي ينبئ رفاقه بأن موضع الخطر قد زال فينزعوا الشمع ، وأن يكون هذا الواحد أوديسوس نفسه ، ولكن على شرط أن يربطه رفاقه بأحد أجزاء السفينة ربطاً محكماً حتى لا يستطيع مطاوعة الأصوات التى ستغنى ثم تنبئ بأنه - بعد النجاة من بنات البحر -



[الصورة رقم ١٥ هى رسم على وعاء أثري يوجد فى متحف بريتش بانجلترا ، وهى تمثل أوديسوس المحبب فى الحيل ، وقد أخذ حذره ضد بنات البحر الساحرة أصواتهن ، فأمر رفاقه أن يشدوه إلى صار السفينة لينجو من الهلاك الناجم عن مطاوعتهن افتتناناً بأصواتهن ، ويرى فى الصورة ثلاث من تلك المغويات يحلقن بأجنحتهن حول السفينة مترنمات بأصواتهن العذبة لجاذبتين أوديسوس] .

سيمر بوحشين مزعجين ولكنه سينجو منهما إذا اتبع الخطه التى ترسمها له ، فيشكرها

ويرتحل ويطيع ناصحها فيسلم هو ورفاقه من فتنة غناء فتيات البحر . غير أنه لم يكد يتخلص من هذا الخطر حتى تلقيه الأمواج أمام كائنين مرعبين أحدهما يدعى : « كارِبديس » والثاني يدعى « إسكيليه » وقد كان هذان الوحشان قبل ذلك إلهتين غاية في الملاحه والجمال فافتن بهما پوسيدون إله البحر افتتاناً شديداً ، فلما أحست زوجته « أنفريتيه » ذات العينين الزرقاوين بهذا الغرام تملكها الغيرة فأسرعت إلى تحويل الإلهة الأولى إلى وحش مخيف يظل مدى الدهر يبتلع مياه البحر حتى يمتلىء جوفه منها ثم يقذف بها إلى الخارج ، وهكذا لا يكف أبداً عن هذين العاملين . ومسخت الثانية حيواناً بشعاً يلتهم كل مسافر يبتعد عن الخطر الذى يشاهده من ابتلاع الوحش الأول المياه وقذفه بها . وإذا يمر أوديسوس من بين هذين الكائنين وهو الطريق الوحيد الذى يمكنه المرور منه ليتبع نصيحة الساحرة فى هذا أيضاً فيبتعد عن الوحش الأول ويقترب من الثانى الاقتراب الذى لا مندوحة عنه والذى يترتب عليه أن يضحى فيه بستة من رفاقه يلتهمهم الوحش ، إذ ليس من ذلك مفر كما أنبأته الساحرة . وبهذا المسلك ينجو مع بقية الرفاق .

يظنون بعد ذلك تحت رحمة الأمواج حتى تقذف بهم على جزيرة « ثرينكيه » التى توجد بها ثيران « هليوس » التى أنذرتة الساحرة بهلاك جميع رفاقه إذا مسوها بسوء كما أسلفنا . وإذا يبلغون هذه الجزيرة - وكان الجوع والتعب قد نالا منهم كل منال - ينام أوديسوس فينتهز رفاقه فرصة نومه ويذبحون بعض هذه الثيران فيستشاط إله الشمس غضباً ويطلب إلى زوس هبوب العواصف السيئة وتحطيم السفن الباقية لهم وهلاك جميع ركبها إلا أوديسوس الذى كان زوس قد وعد بعودته فيستجاب طلبه وتحطم السفن ويفرق جميع ركبها إلا أوديسوس فإنه يظل حياً ثم تلقيه الأمواج على جزيرة كالپسو التى تحبه وتكلف به وتبقيه عندها رغم أنه سبعة أعوام حتى يجيئها الأمر من زوس بالإفراج عنه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . وعند ما يفك اعتقاله يربط بعض الأخشاب إلى بعضها ويركبها ويظل عليها حتى تقذف به الأمواج إلى جزيرة « الفيكيان » حيث هو الآن يقص على ملكها كل حوادثه .

وعندما يسمع منه هذا الملك الخير تلك القصة المؤثرة يزيد في إكرامه واحترامه ويقدم إليه كثيراً من الهدايا والمنح في السفينة التي أعدها له .

ويرجح النقاد المحدثون أن هذه الأنشودة ليست من الأوديسا البدائية وإن كانت تشتمل على مناظر ساحرة مثل منظر جزيرة بنات البحر الذي يظهر أنه مقتطع من أسطورة قديمة جمعت الجمال إلى الرهبة ، وربطت بين الافتتان والاندفاع ، وكذلك قصة « كاربديس » و « اسكيليه » التي رسم لنا فيها المؤلف شجاعة أوديسوس وقوة إرادته ، وامتلأه نفسه وعواطفه ساعة الحزن والأخطار ، وأبان لنا كيف أنه اقترب من الوحش بالقدر الذي يلامس التهلكة ولا يحققها ، ويدنو من الهوّة ولا يسقط فيها . وفوق ذلك فإن أسلوبها نموذج من نماذج الرشاقة والمتعة .

بهذه الأنشودة ينتهى القسم الثانى من الأوديسا وهو الذى يحوى أسفار أوديسوس وما يتعلق بهامند مغادرته تروادة إلى قبيل رحيله من جزيرة الفيكيان . والآن إليك القسم الأخير من هذه الخريدة .

(ج) المجموعة الثالثة أو انتقام أوديسوس^(١)

من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الرابعة والعشرين :

يحتوى هذا القسم على عودة أوديسوس إلى إيثاكيه ووصوله إلى قصره ثم إعداد الانتقام من الأدعياء الذين ضايقوا زوجته واضطهدوا ابنه وأتلفوا ماله . والفكرة العامة التى يمكن أن نبديها هنا عن هذا القسم قبل الخوض فى تفاصيل أناشيده ومناظره هى أن المأسى تقل فيه عنها فى القسم الثانى كثيراً وتحل محلها تحليلات شيقة لشتى العواطف ومختلف الأحاسيس وأن من أهم مايلفت النظر فيه هو الإبطاء فى العمل والإسهاب فى المحاورات .

(١) رجح النقاد أن هذه المجموعة تلت المجموعة السالفة فى الإنشاء وتقدمت على الأولى فوضعوا لها عنوان الأنشودة الثانية .

إذا كانت الأنشودة الثالثة عشرة رأينا المؤلف يصف لنا إبحار أوديسوس من جزيرة الفيكيان يرافقه عدد من أهلها حتى يصلوا جميعاً إلى « إيثاكيه » فيحمل أولئك الأجانب أوديسوس الذى غلبه النوم ويطرحونه على الشاطئ ويضعون إلى جانبه الهدايا التى حملوها معهم ثم يرتحلون عائدين إلى بلادهم . وإذ ذاك يعاود الحقد القديم بوسيدون فيطلب إلى زوس أن يحول سفينة أولئك الفيكيان إلى صخرة تجاه مرفئهم ، فيجيبه زوس إلى سؤاله وتنحول السفينة ثم يعلم الملك بذلك ، فيعلن أنه تحقيق لإنذار قديم نبأ به الوحى ، وأنه لن يتدخل منذ الآن فى شؤون الأجانب ، وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى شاطئ إيثاكيه الذى تركنا أوديسوس نائماً عليه فنراه يستيقظ من نومه ويزى أثينيه تزملة بما يخفيه عن أعين الأعداء حتى لا يعرفوه فيقتلوه ثم تتقدم إليه فى صورة أحد شبان الرعاة فيسأله أوديسوس أين هو الآن ؟ فينبئه الراعى بأنه فى إيثاكيه . وهنا يعود إلى أوديسوس مكره وتبصره فيخترع قصة يروى فيها سبب نزوله فى هذه الجزيرة فتضحك أثينيه وتداعبه بيدها وتتشكل فى الحال فى صورة سيدة جميلة وتخطبه بهذه العبارات الرشيقة المرحية :

«أيها المنافق الكذوب الذى لا يشبع من الحيل من ذا الذى يفوقك فى المهارة إلا إلام؟» .

وعلى أثر ذلك تعرفه بنفسها وتنصح له بما يجب عليه فعله وتطلب إليه أن يثبت ويحتمل فى صبر الحنة الأخيرة التى لا بد له من المرور بها قبل انتقامه من خصومه فيشكرها أوديسوس ويبدى دهشته من هجرانها إياه كل هذه المدة ويعتب عليها عتياً لطيفاً فتمتذر إليه بأنها لم يكن فى وسعها أن تصادم عمها بوسيدون الذى كان حنقه عليه قد بلغ أشده وتؤكد له أنها لم تغفله ألبتة فى جميع ظروفه وتبشّره بأنها ستعيّنه منذ الآن بلا قيد وأنه سينتصر على أعدائه فيمتلئ حماساً وقوة ويناجيها قائلاً :

« قنى بالقرب منى وانفخى فى قلبى جرأة عظيمة كما فعلت يوم هدمنا أسوار تروادة

الضخمة . إذ وقفت إلى جانبي ممتلئة حماساً يا أثينيه ذات العينين الزرقاوين ، وإذا أعنتنى أيتها الإلهة الجليلة فإننى أقاتل ثلثمائة محارب . »

وهنا تعده أثينيه بالمعونة . وفي الحال تغير صورته إلى صورة شيخٍ فإن يرتدى ملابس بالية وتأمّره أن يذهب لينظرها عند « أميوس » راعي خنازيره الأمين ثم تتوجه هي إلى اسبرتا لتحضّر تيلياخوس .

ويعلق النقاد على هذه الأنشودة بأنها جميلة رشيقة تشهد لمؤلفها بالروح القصصى ، وفوق ذلك فإن فيها صورة قيمة لعاطفة هي من أسى العواطف وأنقاها ، وهي حذب أثينيه على أوديسوس بعد عتبه عليها ذلك العتب الرقيق . ومما يمتاز به هذه الأنشودة أيضاً هو أنها تعتبر إعداداً لما سيحدث بعدها من أناشيد .

إذا كانت الأنشودة الرابعة عشرة ألفينا أوديسوس يتوجه إلى الراعى فى صورة متسول حسب أمر أثينيه فيلقاه ذلك الراعى ببشاشة ويقدم إليه الطعام ثم لا يلبث أن يبدى تذمره من أولئك الأدعياء الوقحاء الذين يتلفون ثروة سيده الغائب وسيدته الضعيفة التى لا عون لها ولا سند ، ثم يروى له تفاصيل ما يجرى فى المدينة والقصر ، فيسرى عنه المتسول ويتنبأ له بأن أوديسوس سيعود ، ولكنه يبدى بأساً لا ينزعزع من عودة سيده فيؤكد له الفقير أنه سيعود وأنه مستعد لأن يبقى عنده بلا أكل ولا شرب حتى يعود سيده فيسخر الراعى منه سخريّة مريرة وينبئه بأنه كثيراً ما مر به من الدجالين من أكدوا له عودة سيده دون جدوى ، وأنه لا يرى فائدة من نقل هذه النبوءة إلى سيدهته « بينيليا » لأنه شبه واثق من عدم تحققها .

فإذا كانت الأنشودة الخامسة عشرة فنحن فى اسبرتا نشاهد أثينيه تظهر فى الرؤيا لتيلياخوس وتأمّره بالسفر حالاً إلى مسقط رأسه ، ولكن لما كان إخفاء عودة والده عنه ضرورياً لنجاح المشروع فإنها تخترع له سبباً يزعمه وبضطره إلى الرحيل فوراً . ومجمل هذا السبب هو أن والد بينيليا وإخوتها يريدون إرغامها على الزواج من أحد الأدعياء ، وأنه يخشى أن تحمل ثروته إلى زوجها الجديد لأن المرأة ترغب دائماً فى إنماء ثروة زوجها ، غير أنها لا يفوتها أن تنبئه بالفخ الذى نصبه له الأدعياء والذى أشار إليه المؤلف فى الأنشودة الرابعة ثم تحذره من الوقوع فيه وتبين له وسيلة الخلاص منه .

وعلى أثر استيقاظ تيلياخوس من النوم يعد العدة للعودة إلى بلاده ثم يبحر مزوداً بهدايا فاخرة من لدن مينيلائوس . وفي أثناء سروره بمدينة « بيلوس » يلتقى بالعراف « ثيسكليمينوس » الذى سيلعب فيما بعد دوراً له قيمته فيحمله معه في سفينته .

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك إلى إيثاكيه حيث نشاهد الراعى يقص على أوديسوس قصة حياته المؤثرة التى بروى فيها أن أشراراً خطفوه فى طفولته وباعوه لوالدة أوديسوس . وأخيراً يشهدنا المؤلف نزول تيلياخوس إلى مرفأ الجزيرة فنراه على أثر نزوله يرسل أصحابه إلى القصر ويتوجه هو وحده توأ إلى مقر الراعى كما أمرته أثينيه فى الرؤيا .

فإذا كانت الأنشودة السادسة عشرة رأينا تيلياخوس يصل إلى مقر الراعى فيستقبله هذا الأخير بسرور مؤثر ثم يقدم إليه ضيفه الفقير . وبعد ذلك يبعث تيلياخوس الراعى إلى والدته لينبئها سراً بمقدمه . ولا يكاد الراعى ينصرف حتى تأتى أثينيه وتدعو أوديسوس خارج المسكن فتعيد إليه صورته الحقيقية وملابسه الفاخرة وتأمره أن يعرف ابنه بشخصيته . وهنا يرسم لنا المؤلف منظر التعارف فى لوحة فائقة أخاذاً تعتبر من أجمل لوحات الأوديسا . وعلى أثر ذلك يتشاوران فى الوسيلة التى يعدان بها الانتقام من الأدعياء ، فيصور تيلياخوس لوالده صعوبة المهمة التى هما قادمان عليها بقوله : « ليس الأدعياء ياوالدى عشرة أو ضعف العشرة ، وإنما هم أكثر من ذلك كثيراً وسأنبئك بعددكم لكى تحيط به علماً : يوجد أولاً اثنان وخمسون شاباً من عليه « دوليكوس » يتبعهم ستة من الخدم ثم أربعة وعشرون من « ساميه » ثم عشرون من شبان الأكيان جاءوا من « زاكنتوس » ثم اثنا عشر شاباً من أشجع أهل « إيثاكيه » وهذا عدا « ميدون الجوال » واثنين من الطهاة » .

وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى المدينة فيرسم لنا منظرًا مظلمًا نشاهد فيه الأدعياء يغدون ويروحون ويتفاوضون فى قلق واضطراب لأن أصحاب تيلياخوس يصلون فلا يجد أولئك الأدعياء ضحيتهم التى أعدوا لها الفخ ، ومن جهة أخرى نرى بينيليا مرتاعة على ابنها لأنها لاتزال تجهل مصيره . وأخيراً يحىء الراعى فيطمئنها عليه ثم ينام الجميع . وبهذا تنتهى الأنشودة .

ويرى النقاد أن الفرق بين المنظر الأول والمنظر الأخير من هذه الأنشودة بعيد جداً ،
فبينما نرى المنظر الأول غاية في الجمال والسحر ، نرى الثاني مفعماً بالظلمة والاضطراب ، خالياً
من الانسجام . ومن الممكن - فيما يرون - أن يكون المنظر الأول من الأوديسا القديمة ،
أما الثاني فهو منخفض المستوى إلى حد أنه لا يمكن عزوه إلى المؤلف الأول .

أما الأناشيد : السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون فلا تكاد تحوى
إجمالاً أكثر من عودة أوديسوس إلى قصره في صورة^(١) المتسول واحتماله سخرية الأدعياء ،
وإهاناتهم المتكررة ، وانتظاره في حذر ساعة الانتقام .

فإذا كانت الأنشودة السابعة عشرة فنحن نشاهد تيليماخوس يتجه منفرداً إلى القصر
فتلقاه والدته لقاءً مفعماً بالحنان والسرور ، ثم يروى لها قصة رحلته ، وبعد ذلك ينتقل بنا
المؤلف إلى مقر الراعى فيرينا هذا الأخير يتوجه بدوره إلى المدينة يرافقه الشيخ المتسول
فيران في طريقهما بـ « ميلنثيوس » حارس معز أوديسوس الذى يحمله عدم الوفاء لسيدة
على الميل مع الأدعياء ، فيضرب الشيخ المتسول على فخذه ضربة قاسية ، يسائل أوديسوس
على أثرها نفسه عما إذا كان يسحق رأسه في الحال ، ولكنه يتمالك شعوره ويكظم غيظه
ويستمر في طريقه مع صاحبه حتى يصل إلى القصر ، فيلمح كلباً عجوزاً قد بلغ منه الإعياء
والمرض حدّاً جعل الجميع يهملونه ولا يمتنون بشأنه فيتذكروا أنه ، أرجوس ، كلبه الأمين .
وفي الحال يعرف الكلب سيده فيحرك ذنبه وأذنيه دون أن يستطيع النهوض والارتقاء
عليه . وفي نفس اللحظة يلفظ النفس الأخير فتترقق العبرات في عيني أوديسوس ، ولكنه
يخفى تأثره ويدخل القصر فيجلس على عتبة قاعة المائدة فيأكل ما يرسله إليه تيليماخوس .
وعلى أثر فراغه من الأكل تجيئه أثنين وتأمروه أن يطوف بجميع الأدعياء يسألهم الإحسان
فيعطونه كلهم إلا « أنتينوس » فإنه يضربه بأحد المقاعد فلا يسع أوديسوس إلا أن يلعنه
على نحو ما يفعل الضعفاء أمام طغيان الأقوياء ، ولكن تيليماخوس يحس بدمه يغلى في

(١) يلاحظ أن أثينيه قد ردت إليه صورة الشيخ المتسول قبل عودة الراعى من المدينة .

عروقه ولا يملك نفسه إلا بصعوبة وعناء . وإذ تعلم ، بينيليا ، بهذا الحادث تتألم لإهانة أجنبي فقير في قصرها ثم تطلب إلى « أميوس » راعى خنازيرها الأمين أن يحضر هذا الأجنبي إليها لتسرى عنه وتسأله عن أوديسوس فلعله يكون قد سمع في أسفاره بشيء من أنبائه ، فيبلغ الراعى الشيخ الأجنبي رغبة الملكة فيقبل ذلك ، ولكنه يؤجل الدخول إلى مابعد غروب الشمس لكي لا يمرض نفسه لشر الأعداء . وهنا يعود « أميوس » إلى قطيعه . وبهذا تنتهى الأنشودة السابعة عشرة .

وعلق النقاد على هذه الأنشودة بأنها قوية تفيض من بين أبياتها الحيوية والحركة والنشاط ، وتشع من عباراتها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة البعيدة عن العمل . وبالإجمال تلوح عليها أمارات الشعر القديم بأجلى مظاهرها .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة عشرة فنحن نشاهد « إيروس » - وهو أحد المتسولين - يتشاجر مع أوديسوس ويصر على طرده من القصر بحجة أنه يضايقه ، وأن المكان لا يتسع لاثنيين ، وأنه أولى منه بالبقاء لسابقته عليه من جهة ولشبابه وقوته من جهة أخرى فيقترح « أنتينوس » أن يتعارك المتسولان فيبقى منهما من يفوز بالغلبة وينصرف الآخر ، فيقبلان هذا الاقتراح . ولا يكاد كل منهما يدنو من صاحبه حتى يهزم « أوديسوس » « إيروس » شر هزيمة . وبعد ذلك توحى أثينية إلى بينيليا أن تدخل إلى قاعة القصر وتنصح لابنها أن يلتزم جانب السلم والهدوء والعقل والاتزان فتفعل ، ولا يكاد الأعداء يرون منها هذا حتى ينهروا وينخدعوا ويقدموا إليها الهدايا ، فيسر أوديسوس من رؤية زوجته تبدى الترحيب بالأعداء مع أنها تخفى لهم في نفسها حقداً عميقاً ويشعر بأنها تشبهه في مكره ودهائه . وبعد أن تنصرف بينيليا يطلب أوديسوس من الخادومات أن يتبعن سيدتهن فيطعننه إلا إحداهن وهى « ميلنتو » فإنها تسبه ولا تنصرف إلا بعد أن يهددها بإبلاغ تيلياخوس . وأخيراً يتحرش به أحد الأعداء ويضربه بالمقعد ولكنه يخطئه بفضل مهارته ثم يحىء تيلياخوس فيعمل على سيادة السكون . وأخيراً يسلم الجميع أنفسهم إلى النوم .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة مفككة منحنطة المستوى لا يلوح عليها أى أثر من عبقرية الشاعر البدائي ، وإنما هي مقطوعات أضيف بعضها إلى بعض بدون فن ولا دقة . ومن آيات ذلك أن أحد مناظرها يصور لنا أوديسوس أمام رؤية زوجته للمرة الأولى بعد عشرين عاماً دون أن يرسم لنا شعوره وانفعاله ولو في داخل نفسه . وفوق ذلك فإن أخلاق بينيليا في هذه الأنشودة تختلف عنها في الأناشيد البدائية .

أما منظر الخادمة التي تسب المتسول فإن القارئ يحس أنه محاكاة سخيفة لمنظر راعي العز الذي رأيناه يضربه في الأنشودة السابقة حتى أن اسمها يكاد يكون تحريفاً بسيطاً لاسمه .

وقصارى القول إنها أنشودة عادية خالية من ميزات المواهب الهوميروسية .

وإذا كانت الأنشودة التاسعة عشرة فنحن نشاهد أوديسوس وتيلياخوس في القصر في جوف الليل ينقلان الأسلحة من القاعة الكبرى ليضعها في حجرة يجملها الأعداء حتى لا يتمكنوا من استخدامها عندما يبدأ أوديسوس في الانتقام منهم . ويقترح هذا الأخير أنه إذا دهش أولئك الشبان من نقل الأسلحة فإنه يقال لهم إن الباعث على نقلها سببان أولهما ألا تصدا من الدخان الذي كانت معرضة له في مكانها السابق . وثانيهما خشية تيلياخوس أن يتشاجروا فيستعملوها في حالة الغضب استعمالاً يندمون عليه فيما بعد . وبعد أن يفرغوا من تأدية هذه المهمة ينسحب تيلياخوس إلى حجرته ليسترخ ويبقى أوديسوس لتسأله الملكة كما وعدتها في الأنشودة السابعة عشرة . ولا تكاد بينيليا تخلو به حتى تنسم منه ما عسى أن يكون قد وصل إلى علمه من أخبار أوديسوس . وفي أثناء الحديث يبدو جلياً تعلق هذه الملكة بزوجها الغائب ، وحبها إياه ووفائها له إذ تنبئه أن أولئك الشبان الوقحاء يضايقونها منذ عدة أعوام وأنها - لكي تتخلص منهم - ابتكرت حيلة مجملها أن الواجب يقضى عليها بأن تنسج كفناً لـ « لايرتيس » الشيخ الفاني والد زوجها المفقود والذي لا عون له في الحياة ، وأنها مستعدة لقبول الزواج متى انتهت من نسج هذا الكفن ، وأخذت تنقض ليلاً

ماتنسجه نهراً ، وظلت على ذلك ثلاثة أعوام حتى وشت بها الخادومات لدى الأدعياء ، فكشف سرها وافتضحت حيلتها ولم يعد لها الآن عذر في المماطلة ، ولا مناص من قبول ذلك الزواج البغيض لاسيما وأن والدها وإخوتها يدفعونها إليه دفعا .



[الصورة رقم ١٦ هي رسم على وعاء أثيني ، وهي تمثل بيفيليا عاكفة على نسيجها الذي اتخذته حيلة لتدفع بها الأدعياء الذين كانوا يحاولون قهرها على الزوج من أحدهم فاستمهلهم حتى تنهى هذا النسيج ثم جعلت تنقض ليلاً ماتنسجه نهراً لتكسب الوقت إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً]

وعند ما يسمع الشيخ هذا الحديث يملك عليه التأثر مشاعره ويبتكر لها قصة خيالية يحدثها فيها أنه شقيق ملك كريتيه وأنه رأى أوديسوس منذ عشرين عاماً حين كان ذاهباً إلى تروادة ، وبيان ذلك أن الرياح قد قذفت به إلى جزيرته فأكرمه وضافه اثني عشر يوماً ، ولسكى تؤمن بهذه القصة يصف لها الملابس التي كان يرتديها إذ ذاك . ولما كانت تذكرها جيداً فإنها تؤمن بكل ما يقول . وبعد إنهاء رواية الماضي يحدثها عن المستقبل فيزعم لها أنه سمع أن أوديسوس حي ، وأنه سيعود قريباً ومعه ثروة ضخمة غير أن استحكام اليأس من نفسها يحول بينها وبين الجرأة على الأمل في عودة زوجها فتأخذ في ترديد التأوه والأنين ، ولكنها تطلب إلى هذا الشيخ أن يبقى في القصر يأكل ويشرب دون أن يقوم بعمل ثم

تأمر « أوركليا » مرضع زوجها أن تغسل له رجله قبل أن ينام ، ولا تكاد هذه المرضع العجوز تنتحي به ناحية وتكشف عن ساقه حتى ترى في إحدى ركبتيه أثر جرح كان خنزير برى قد أحدثه فيها منذ زمن بعيد فتبلغ بها شدة الانفعال المبالغ حدّاً يفقدها وعيها ، وتقلب الإناء الذي أعدته لغسل رجله ولكن أوديسوس يأمرها بالصمت ولولا أن أثينيه أدارت انتباه بينيليبيا قصداً لصرفها عن الإدراك لفطنت إلى ما حدث ولكنها لا تحس بشيء مما يجري بالقرب منها . وأخيراً يختم أوديسوس حديثه معها بترديد الأمل في عودة زوجها ثم ينصرف إلى حجرة نومه .

فإذا كانت الأنشودة العشرون ، فنحن في حجرة نوم بينيليبيا نشاهدها تجهش بالبكاء في سريرها وتحاول النوم فلا تستطيعه وتعمل على التعلل بالأمل فيغلبها القنوط ثم ينتقل بنا المؤلف إلى غرفة أوديسوس فنراه حائراً يملك عليه القلق كل أحاسيسه ويفكر فيما عسى أن يأتيه به الغد من أحداث فيجافيه النوم ويرافقه الأرق ، وهنا تجيء إليه أثينيه وتؤنبه على ترزعزعه ثقته ، وتطمئنه على النتيجة ، وتؤكد له القوز والانتصار فينام . وعند ما يستيقظ في الصباح يتوسل إلى زوس أن يبعث إليه إشارة تدل على أنه يكلؤه برعايته فيجيب سؤاله ويرسل الرعد يجلجل في السماء رغم أن الوقت صحو فيغضب أوديسوس بذلك ويتجه فوراً إلى « أميوس » الراعي الذي يصل في هذه اللحظة . وبينما هما يتحدثان إذ يصل « فلوتئوس » رئيس الرعاة الذي هو الآخر مثال من أمثلة الوفاء لسيدته والذي يفيض من عباراته موطن الأمل في عودته . وعلى أثر ذلك يقصد الأدعياء إلى القصر ويجلسون إلى مائدة الإفطار . وإذا ذاك يطلب تيلياخوس إلى الشيخ أن ينتحي زاوية ويقدم إليه شيئاً من الطعام ، غير أنه لا يكاد يفعل حتى يتقدم إليهما « كتيسيوس » أحد الأدعياء وينهر الشيخ ويرميه برجل ثور فيتفادها بمهارة البطل المتمرن . وإذا ذاك تجيء أثينيه وتحدث في الحال اضطراباً في رؤوس جميع الأدعياء فيأخذون في القهقهة على المائدة من غير سبب حتى تسيل الدموع من أعينهم . وفي الحال يهض العراف « ئسكليمينوس » ويتقنأ في شعر مأساوي مروع بموت الأدعياء في العاجل القريب .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة لا تخلو من مناظر جميلة فاتنة وإن كان فيها شيء من التفكك يؤذن بأن بعض مناظرها من الأوديسا القديمة والبعض الآخر من وضع العصور المتأخرة .

فإذا كانت الأنشودة الحادية والعشرون فنحن نشاهد أثينيه توحى إلى بينيليبيا أن تنقب عن قوس أوديسوس الكبرى وتحضرها وتقدمها إلى الأعداء قائلة لهم إن أيكم يرمى بها سهمًا تحترق حديد اثنتى عشرة بلطة هو الذى سيتزوج منى فتفعل ما تأمرها به الإلهة ويقبل الأعداء هذا الشرط ، وهنا يتقدم تيلياخوس ويعلن أنه سيساهم فى هذا الرهان ، وأنه إذا استطاع تحقيق ذلك الغرض فإنه يحول بين أمه وبين الزواج ، غير أنه لا يقوى على شد وتر القوس فضلاً عن الرمي بها فيتخلى عن المكان لـ « ليوديس » أحد الأعداء ولكنه لا يمتاز عن تيلياخوس فى شد الوتر بأية ميزة ، فينسحب ويعلن أنه لن يتزوج بينيليبيا أحد مادام هذا الشرط قائماً . وإذ ذاك يقترح « أنتينوؤوس » أن يدهن الوتر بشحم حمى فيجذب إلى اقتراحه ثم يحاول الجميع شده واحداً بعد واحد ولكن محاولتهم تضيع عبثاً ولا يبقى منهم إلا « أنتينوؤوس » و « أوريماخوس » وهما أشجع الأعداء جميعاً . وقبل أن يبدأ هذان الدعيان محاولتهما يجذب أوديسوس راعييه : « فلوتئوس » و « أومايوس » إلى خارج القاعة ، وبعد أن يستوثق مرة أخرى من وفائهما يعرفهما نفسه على عجل فيستطاران فرحاً ويقسمان له على المساعدة ، بل على الفداية . وإذ ذاك يأمر « فلوتئوس » بإغلاق جميع الأبواب وبمراقبة الخاديات والعمل على تحقيق السكينة عندما يسمع سكان القصر أنين الجرحى وحشجة المحتضرين ثم يعود هو و « أومايوس » إلى القاعة فيجدان « أوريماخوس » قائماً بمحاولته شد الوتر عبثاً . وهنا يقترح « أنتينوؤوس » أن تؤجل هذه المحاولات إلى الغد ، لأن اليوم هو عيد « أبولون » وفيه لا يقوى أحد أيا كان شأنه على شد وتر . وفى هذه اللحظة يطلب الشيخ المتسول أن يسمح له بمحاولة شده ، فيثور الأعداء وينبذون هذه الفكرة لا خوفاً من أن يتزوج هذا السائل من بينيليبيا ، ولكن حرصاً على سمعتهم من الإهانة إذا استطاع شد الوتر ، غير أن بينيليبيا تطلب أن يجاب إلى سؤاله ،

لأنه ليس متسولاً ، وإنما هو من عنصر سام وتعدم بأنه لو وفق لا كتفت بإعطائه شيئاً من المنح والهدايا فيؤيد تيلياخوس والدته في هذا الاقتراح ويطلب إليها أن تصعد إلى جناحها مع خادمتها ، لأنه فهم أن ساعة البطش قد حانت فتذعن ببنيلىيا وتنسحب . وهنا يتناول « أومايوس » القوس ويضعها بين يدي أوديسوس رغم احتجاج الأعداء ثم يسر إلى الموضع العجوز أن تغلق أبواب القصر الداخلية وألا يقلقن إذا سمعن أنيناً . وفي أثناء ذلك يقبض أوديسوس على القوس ويشد الوتر في سهولة ويضع فيها سهماً ثم يرميها فتخترق جميع الحداث التي هي غرض الرهان فيستولى على الأعداء ألم مبرح ويمتقع لونهم . وبعد ذلك يدعو « أوديسوس » « تيلياخوس » بإشارة فيقف إلى جانبه ويده سيف وحرية .

فإذا كانت الأنشودة الثانية والعشرون فنحن نرى أوديسوس يقف ، وابنه إلى جانبه ويضع عند قدميه كومة من السهام ثم ينزع الملابس البالية ويصيح قائلاً : « الآن وقد انتهى الاختبار ، فأنا سأسدد سهمي إلى هدف لم يمسه أى إنسان بعد » . وعلى أثر ذلك يصبو السهم الأول إلى « أنتينوؤوس » فيخترق عنقه ويتبع هذا بتقديمه نفسه إلى الأعداء فترعد فرائصهم ويسودهم القلق والاضطراب ، ويحاول أوريماخوس أن يستعطفه ويهدئه فيعلن بلسان الجميع أن ماضى كان كله ناشئاً من تحريض أنتينوؤوس ، وأن الجميع على أتم استعداد للانسحاب فوراً ولتعويضه كل ما أفتدوه إياه أثناء غيابه ، غير أنهم يتحققون من تصميم أوديسوس على إفنائهم فيلتجئون إلى آخر وسيلة وهي محاولة الدفاع عن أنفسهم ثم يستخدمون ميكنتيوس راعى المعز الخائن في إحضار أسلحة لهم من داخل القصر ، فيأخذ في تأدية مهمته ويحضر لهم بعض هذه الأسلحة ولكن أوديسوس يتنبه لذلك فيبعث إليه « أومايوس » وفلوتئوس راعيه الأمين فيربطانه في عمود ثم يعودان حالا فيقفان إلى جانب سيدهما ليساهما معه في حظه أيا كان . وإذا ذاك نجى أثينيه في صورة منتور وتأخذ في تشجيع أوديسوس ثم لا تلبث أن تتحول إلى صورة طائر وتقف على خشبة بارزة في السقف لتشهد المعركة وتشارك فيها فيشرع أوديسوس ورفاقه الثلاثة في طعن الأعداء بحراهم . أما مهمة أثينيه فهي تحويل ضربات الأعداء عن أوديسوس وأنصاره إلى الفراغ وتستمر

المعركة على هذا النحو حتى لا يبقى في قاعة القصر إلا «ميدون» و «فقيوس». الشاعران وبعد انتهاء المعركة يرسم لنا المؤلف جزع «أوركليا» المرضع العجوز من منظر سيدها ملطخا بالدماء ، محوطا بالجثث ، وغبطتها وسعادتها بعودته وانتقامه من أعدائه . وبعد ذلك يطلب إليها أوديسوس أن تعين له الخادومات الخائفات فتدله على اثنتي عشرة خادمة فيدعوهم ويكلفهن أولاً تنظيف القصر . وعلى أثرائتهائهن من هذه المهمة يأمر تيلياخوس والراعيين بقتلهن فيشتقونهن ثم يحىء دور «ميلائثيوس» فيأمر بالتمثيل به : فتقطع أذناه وأذنه وأطرافه . وأخيراً وبعد تطهير القصر بالكبريت يرسل المرضع لتستدعى بينيليبيا والخادومات الأمينات ، وبهذا تنتهى الأنشودة .

فإذا كانت الأنشودة الثالثة والعشرون فنحن في حجرة بينيليبيا نشاهد المرضع توقظها من نوم عميق كانت أثنيه قد ألقته عليها لكي لا تحس بشيء مما يقع بالقرب منها . وإذا تستيقظ تنبئها بكل ما حدث فلا تصدق منه شيئاً ولا تسمح لخيالها بقبول الأمل في عودة زوجها ، وتؤكد للمرضع أنه إذا كان الأدعياء قد قتلوا حقاً ، فإن أحد الآلهة قد قتلهم لعسفهم ووقاحتهم ، أما زوجها فلا يمكن أن يكون قد عاد ، ولكنها رغم هذا تنزل لتستوثق من رواية المرضع . وإذا تقع عينها على أوديسوس تنكره ، لأنه لا يزال في صورة الشيخ المتسول وعليه ملابسه ، فلا يسع تيلياخوس إلا أن يؤنبها في أسلوب جاف ويأخذ عليها قسوتها نحو زوجها ويصف قلبها بالتعجر ، وعاطفتها بالشذوذ عن الإنسانية . وهنا تجيبه في هدوء وتبصر قائلة إنه إذا كان هو ، فإنها ستعرفه حينما ينفردان بوساطة علائم يجملها كل من عداها فييتسم أوديسوس اغتباطاً بتبصر زوجته ويوافق على إجراء هذا الاختبار ، غير أنه يريد قبل ذلك أن يأخذ الحيلة بإزاء ذبوع موت الأدعياء حتى لا تتمكن أسرم من تأليب المدينة عليه . وبعد أن يتم له ما يريد يدخل الحمام فيغتسل ويتزين ثم ترد إليه أثنيه صورته وتلقى على وجهه الرشاقة والمهابة ولكن بينيليبيا لا تزال تشك فتتصب له شركاً يعينها على كشف الحقيقة ، وهو أنها تأمر المرضع بنقل سرير زوجها إلى خارج الحجرة ، وغايتها من هذا أن تتبين ما إذا كان هذا الرجل يعرف سر السرير أو يجمله لأن أوديسوس هو

الذى صنعه ووضع له مسامير خفية تجعل نقله غير ممكن فلا تكاد توجه هذا الأمر إلى الموضع حتى يصبح أوديسوس قائلاً : كيف تستطيع نقل سريري الذى صنعته بيدي وسمرتة بطريقة تجعل نقله مستحيلاً فتقتنع تماماً . وهنا يرسم لنا المؤلف لوحة مؤثرة لتعارف الزوجين وانفعالهما ويصور لنا لذة اللقاء بعد طول البعاد . وبعد أن تعتذر إليه عن إبطائها في معرفته يجلسان معاً ويتحدثان عن مآزير الماضي وما لقي كل منهما بعيداً عن صاحبه من كوارث ونكبات ، ومصاعب وعقبات ، ويرسمان مرارة الفراق وما تحدثه في القلب من لوعة وحرقة . وفي صباح اليوم التالي يصور لنا المؤلف استعداد أوديسوس أولاً لزيارة والده الشيخ ثم عزمه على زيارة حقوله ومراعيه وقطعانه .

فإذا كانت الأنشودة الرابعة والعشرون فإن المؤلف ينتقل بنا إلى مملكة الموتى حيث نشاهد شبحي أخيلوس وأجاممنون يتحدثان عن موتهما ، وإنهما لسكذلك إذ تفد عليهما أرواح الأدعياء يقودها « هرميس » فيعرف أجاممنون أحدهم وهو « أنفيميدون » فيسأله عما حدث فيروى له القصة من أولها إلى آخرها . وعند ما يسمع أجاممنون وصف أمانة بينيليبيا ووفائها لزوجها تمتلئ نفسه حسرة ويسارع إلى الموازنة بينها وبين زوجته الآثمة ويندب حظه ويصور تعااسته ، وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى منزل « لا إرتيس » حيث يشهدنا لقاء ابنه في منظر ساحر مؤثر تبرز فيه العاطفة الأبوية والحنان الذي زادته الشيخوخة ونماء الفراق الطويل . ولا يكاد الوالد القاني ينعم برأى ولده العزيز حتى ينمى إليهما نبأ قاتم مؤداه أن أقارب الأدعياء قد قدموا مدججين بالسلاح للانتقام لأبنائهم . وعند ما يسمع أوديسوس هذا النبأ ينهض على الفور ويسرع إلى لقاءهم تؤيده أثينيه ويشد أزره ولده ويناصره ستة من خدمه الأوفياء . ولا تكاد المعركة تستخدم حتى يتقمقر أولئك الخصوم ويطاردهم أوديسوس ، وهنا يتدخل زوس فيأمر أثينيه بإجراء الصلح بين الفريقين فيسود السلام وبهذا تنتهي الأوديسا .

ويرى النقاد أن الأناشيد الحادية والعشرين والثانية والعشرين وأكثر الثالثة والعشرين من الأوديسا القديمة لأنها تؤلف وحدة متماسكة منسجمة ، أما ما أضيف بعد ذلك من مناظر رواية الحوادث الماضية وإعداد حجرة النوم واستعداد أوديسوس في صباح اليوم التالى لزيارة والده فهو من وضع العصور المتأخرة . وكذلك الأنشودة الرابعة والعشرون كلها مضافة ، وليس ذلك رأى من ابتكار النقد الحديث ، وإنما كان نقاد العصر الاسكندرى يعتقدون أن الأوديسا القديمة تنتهى بمنظر تعارف أوديسوس وبينيلبيا ، وأن كل ما بعد ذلك مضاف . ويلاحظ المحدثون أن عودة أوديسوس إلى مملكة الموتى فى الأنشودة الأخيرة هى محاكاة تافهة سخيفة لزيارته الأولى لتلك المملكة .